الرّضا بالله تبارك وتعالى ربًّا

(خطبة الجمعة لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –

في اليوم 24 من صفر 1435هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 2013م)

<u>الخطبة الأولى:</u>

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - صلّى الله عليه وآله وسلّم - ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر المؤمنين، حديثنا في هذه الجمعة المباركة، حديثٌ عن:

الرّضا بالله تبارك وتعالى ربًّا

لن تذوق طعم الإيمان إلاّ إذا رضيت بهذه الثّلاث:

روى مسلمٌ عن العبّاس بن عبد المطّلب – رضي الله عنه – ، ورواه التّرمذي بسندٍ صحيحٍ، وهو في الجامع الصّحيح للألباني بسندٍ صحيحٍ، قال - صلّى الله عليه وسلّم - : (**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمّدٍ رسولاً**).

وروى مسلمٌ عن سعدٍ بن أبي وقّاصٍ – رضي الله عنه – ، أنّه قال: { **من قال حين يسمع المؤذّن:** (**أشهد أن لا إلـٰـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، رَضِيتُ بالله ربًّا، وبمحمّدٍ رسولاً، وبالإسلام دينًا**)، **غُفِرَ له ذنبه** }.

هذان الحديثان عليهما مدار التّديّن، ومنها الرّضا بالله ربًّا، خالقًا، نافعًا، مانعًا، معطيًا، ومنها الرّضا بأنّ كلّ ما في هذا الكون من الله وتدبيره، ومنها الرّضا بالله والإنقياد له، والرّضا بأوامره والتّسليم له في كلّ شأنٍ.

ومن جمع هذه فهو الصّدّيق حقًّا، وهي سهلةٌ بدعوى اللّسان، ولكنّها من أصعب الأمور عند حقيقة الإمتحان، ولا سيّما إذا جاء ما يخالف هوى النّفس ورغباتها، ويبرز له أنّه كان راضيًا بلسانه لا بقلبه جوارحه.

فالرّضا بالله إِلَـٰـهًا يتضمّن محبّة الله وحده، والخوف منه، ورجاء فرجه وحده، والإنابة إليه، فتجد الرّاضي بالله عابدًا له، مخلصًا له في عبادته.

والرّضا بالله ربًّا يتضمّن الرّضا بتدبيره لعبده، والتّوكّل عليه وحده في قضاء الحوائج، والثّقة والاستعانة به.

وأمّا الرّضا بالرّسول فبالإنقياد له والتّسليم له، فتكون أوامر الرّسول أولى بالعبد من نفسه، فلا يلتزم إلاّ بِهَدْيِ الرّسول، ولا يَرْضَ إلاّ بحكم رسول الله في كلّ شأنه.

فإن قيل له: (**لئن تضرب بِمِخْيَطٍ خيرٌ من أن تصافح امرأةً**)، لا يختار بعد هذا الأمر سبيلاً آخرًا.

وإن سمع قول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لعن الله الرّاشي والمرتشي والماشي بينهما**)، لم يكن ليطلب رشوةً أو يقبلها مهما كانت.

وأمّا الرّضا بدينه، فإنّه إذا قال الله أو حَكَمَ، أو أمر أو نهى رَضِيَ عنه العبد كلّ الرّضا، فلم يقدّم أمرًا غير أمر الله، ولا نهيًا على نهي الله، ولا حكمًا على حكم الله تعالى.

فإذا سمع قول الله تعالى:

" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . . .

﴿6﴾ " **سورة لقمان.**

وأنّ ابن عبّاس – رضي الله عنه – قال: (**هو الغناء**)،

لم يكن ليقبل أن يكون في عرس ابنته أو إبنه مزمارًا من مزامير الشّيطان.

كما يرفض أن تضع ابنته أو زوجته ثيابها فتهتك السّتر بينها وبين ربّها، ملتزمًا قول الله تعالى:

" وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ . . . ﴿31﴾ " سورة النّور.

ولا يكون ديوثًا، فيرضى أن يتفرّج الرّجال على جسد زوجته أو بناته بأيّ دعوى كانت.

قيل ليحيى بن معاذ – رحمه الله – : (**متى يكون العبد راضيًا عن الله تعالى؟**)، فقال: (**إذا أقام نفسه على أربعة أصولٍ فيما يعامل به ربّه**)، فيقول: (**إن أعطيتني قَبِلْتُ، وإن منعتني رَضِيتُ، وإن تركتني عَبَدْتُ، وإن دعوتني أَجَبْتُ**).

وَعَيْنُ الرّضا ما قاله الحسين بن عليٍّ – رضي الله عنه – ، أنّ أبا ذرٍّ – رضي الله عنه – يقول: (**الفقر أحبُّ إليّ من الغنى، والسّقم أحبّ إليّ من الصّحّة**)، فقال : **{ رَحِمَ الله أبا ذرٍّ – رضي الله عنه – ، أمّا أنا فأقول: (من اتّكل على حسن اختيار الله له، لم يَتَمَنَّ غير ما اختار الله له) }.**

واعلموا، إخوتي الكرام، أنّ الرّضا بالقضاء من علامات الإيمان الصّادق.

يقول سبحانه:

" . . . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿ 2 ﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ 3 ﴾ " **سورة الطّلاق.**

ومجيء قوله تعالى:

" . . . قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ 3 ﴾ " **سورة الطّلاق.**

بعد ذكر التّقوى والتّوكّل فيه سرٌّ لطيفٌ ومقصدٌ شريفٌ، فمن اتّقى ربّه وتوكّل عليه، فلا يتباطأ عون الله، ولا ييأس من روحه، ولا يقنط من رحمته، ولا يقطع أمله من الفرج، فإنّه إذا اتّقى وتوكّل فسوف يأتيه الفرج لا محالة، وسوف يجد الخروج من الضّيق بلا شكٍّ، لكنّ للأمور أوقاتٌ وللمقدور عمرٌ لا بدّ أن يقضيه حتّى يصل، وكلّ شيءٍ عند الله بأجل مسمّى، فما على العامل إلاّ العمل، حتّى يحين وقت الثّواب، وما على الدّاعي إلاّ أن يدعوَ حتّى يحصل له مراده أو خيرًا من مراده، ولا يقول دَعَوْتُ ثمّ دَعَوْتُ فلم يستجب لي، بل يطمئنّ إلى حُسْنِ اختيار ربّه، وجميل صنيعه، وجليل حكمته، وسعة علمه، وكمال قدرته، وتمام رحمته، فإن خطب فلم يُزَوَّجْ رَضِيَ، وإن تداوى فلم يشفى رَضِيَ، وإن دعا فلم يُسْتَجَبْ رَضِيَ.

فالله جعل لكلّ شيءٍ قدرًا، له زمنٌ لا يتعدّاه، ووقتٌ لا يتخطّاه، فإذا جاء موعد المقدور فلا يستأخر عن وقته ساعةً ولا يستقدم.

للكربة وقتٌ ثمّ تزول، لها زمنٌ ثمّ تحول، لأنّ الله قد جعل لكلّ شيءٍ قدرًا.

لِلْهَمِّ ساعاتٌ، ولِلْغَمِّ أوقاتٌ، ثمّ ينجلي بسرورٍ لاحقٍ، وفجرٍ صادقٍ، لأنّ الله قد جعل لكلّ شيءٍ قدرًا.

للفقر زمانٌ ولو طالت، وللعدم أوقاتٌ ولو قَسَتْ، ثمّ ينقشع، لأنّ الله قد جعل لكلّ شيءٍ قدرًا، وللحرمان سنواتٍ، ثمّ تنجلي أرزاق العطاء من أرزاق المنّان.

لا تستعجل حصول المرغوب، وإزاحة المرهوب، فالأمر ليس إليك، بل إلى من جعل لكلّ شيءٍ قدرًا.

إنّ الإيمان بأعمار المصائب سلوةٌ للمنكوبين، وإنّ التّصديق بآجال المحن عزاءٌ للمصابين، وإنّ للمكروه زمنٌ لا يتجاوزه أبدًا، فتخيّلك في إزالته قبل حينه ضربٌ من الهَوَسِ، وهو من فنون الوسوسة، لأنّ مهمّتك كيف يزول، لا متى يزول.

" . . . **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿2﴾** " **سورة الطّلاق.**

" . . . **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** . . . **﴿3﴾** " **سورة الطّلاق.**

فمن حرص على كيفيّة زواله دعا وأخلص، وجدّ واجتهد، واتّقى وصبر، وتوكّل وأناب، وفوّض الأمر إلى الملك الوهّاب، ومن تعلّق قبله بزمن الزّوال وارتحال المكروه، استبعد الفرج، واستبطأ الرَّوْحَ، وصاحبه الإحباط.

ولو آمن أوّلاً بالقضاء، وسلّم الأمر لربّ الأرض والسّماء، وأخلص في الدّعاء، وانتظر الفرج في وقته، والنّصر في حينه، وحسن العاقبة في زمنها.

لو فعل ذلك كلّه لأدرك سعادة من إذا أذنب استغفر، ومن إذا ابْتُلِيَ صبر، وإذا أنعم عليه شكر، فالله هو المقدّر، قد جعل لكلّ شيءٍ أجلاً.

واعلم أنّ الشّجرة لا تثمر حتّى يأتي حينها، ولا تبزغ الشّمس حتّى يحلّ ميقاتها، ولا يطلّ القمر حتّى يحصل زمن إطلاله، ولاتضع الحامل حملها ولا تفطم ولدها إلاّ بأجلٍ، ولا يندمل الجرح ولا يبرأ المريض، ولا تعود الضّالّة المفقودة إلاّ بعد ما يمرّ بالكلّ العمر المقدّر، والأجل المقرّر من العليم الحكيم القدير المدبّر.

فبذل الأسباب لا يأتي بالنّتائج، بل في السّاعة الّتي كتبها الله وحده، ألم تَرَ بأنّ النّار لم تحرق إبراهيم – عليه السّلام – ، وأن عيسى – عليه السّلام – وُلِدَ من غير أبٍ، فقد تحضر الأسباب وتغيب النّتائج، وقد تأتي النّتائج مع غياب الأسباب، لأنّ مسبّب الأسباب ومحقّق النّتائج أراد ذلك، كلّ شيءٍ عنده بمقدارٍ، وكلّ شيءٍ بأجلٍ مسمّى، وقد جعل الله لكلّ شيءٍ قدرًا، وهو المقدّم والمؤخّر، قد أحاط بكلّ شيءٍ علمًا، ووسع كلّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، فقد أتى أمره فلا تستعجل، وقرب فرجه الأكبر، له

الحكم وإليه ترجعون، فلكلّ أجلٍ كتابٌ، ولكلّ شيءٍ حدٌّ، ولكلّ حدثٍ عمرٌ، فسبحان المدبّر في علاه، لا إلــٰه إلاّ هو.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

من رضي بالله ربًّا وبمحمّدٍ رسولاً وبالإسلام دينًا غُفِرَ ذنبه، من كانت هذه معتقداته، وهذا مستواه، وهذا الإطمئنان، عاش في سعادةٍ وراحة بالٍ، وسكينة نفسٍ، ولو كان يتقلّب على مرضٍ تجده مرتاح البال، مطمئنّ النّفس، ساكن القلب، لأنّه يعرف هذا قضاء الله وقدره.

ثبت في صحيح البخاري ومسلمٍ، والحديث عند ابن ماجة والتّرمذي، وهو في الصّحيح الجامع للشّيخ الألباني – رحمة الله عليه – ، قال عليه الصّلاة والسّلام : (**يدخل من أمّتي الجنّة سبعون ألفًا بغير حسابٍ**)، فتخاصم فيهم الصّحابة، فمنهم من قال: (**إنّهم أولئك الّذين هاجروا مع النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – في بداية الدّعوة**)، ومنهم من قال: (**أولئك الّذين ولدوا في الإسلام، فلم يعيشوا الكفر أبدًا**)، فقال لهم النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (**هم الّذين لا يسترقون، ولا يتطيّرون، ولا يكتوون، وعلى ربّهم يتوكّلون**)،

وزاد التّرمذي: (**ومع كلّ ألفٍ سبعون ألفًا، وثلاث حثياتٍ من حثيات ربّي عزّ وجلّ**)،

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة المصريّين،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة السّوريّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلـــٰه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.